جامعة الجيلالي بونعامة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة الفلسفة

المقياس : فلسفة غربية معاصرة

المستوى: سنة ثالثة ليسانس

السداسي الثاني

السنة الجامعية : 2023/2022

الأستاذ المسؤول عن المقياس: بن رابح أحمد

المحاضرة الأولى:

1- مدخل تمهيدي:

إن الحديث عن الفلسفة الغربية المعاصرة لا يمكن أن يتم بدون الحديث عن الفلسفة الفلسفات السابقة، أي منذ اللحظة اليونانية حتى وفاة الفيلسوف الألماني نيتشة (1900)م. وإذا حاولت الفلسفة الحديثة مع ديكارت (1596- 1650) ولايبنز(1646- 1716) وسبيموزا(1632-1677) ، والتجريبيين الإنجليز كلوك (1632-1704) وهيوم () وجون سايوارت مل،(1806-1873) إحداث القطيعة مع الفلسفة الأرسطية لتظهر فلسفة جديدة وصفت بالحديثة التي تمحورت معالجتها لمفاهيم أساسية شكلت "*عصر الحداثة*" مثل المنهج والعلم والتقدم والحرية، فإن الفلسفة المعاصرة ومن أهم ما اهتمت به بغض النظر عن الموقع الجغرافي هو استعادة التراث اليوناني كنموذج فلسفي أعيد له الاعتبار وهذا خاصة مع نيتشة، لذلك فإن الفلسفة المعاصرة التي يؤرخ لظهورها انتهاء النسق الفلسفي الهيجيلي، وظهور فلسفة نقدية كان نيتشة باعثها. يمكن القول أن الفلسفة المعاصرة هي إلى يومنا هذا فلسفة لا نسقية أو مضادة للنسق، كما أنها من جهة أخرى فلسفة قامت بنقد القيم التي تأسست عليها الحداثة الغربية.

لقد تبين لنا سابقا أنه ليس من السهل التعرض بالتفاصيل الكاملة للفلسفة الغربية الحديثة نظرا لما كانت تتميز به من خصائص، ولما يتعلق الأمر بالفلسفة الغربية المعاصرة، فإن الصعوبة تزداد أكثر، والصعوبة الأولى التي تواجه أي دارس لهذه الفلسفة هي خيار إجراءات تناولها، كونها لها تاريخ، ولها مذاهب وتيارات واتجاهات، إضافة إلى الموضوعات الكثيرة التي تناولتها، ومن هنا يطرح السؤال: ما هي أيسر طريقة وأكثرها ملاءمة لتناول الفلسفة الغربية المعاصرة؟

"الفلسفة المعاصرة" اسم يطلق على مجموعة من الفلسفات المختلفة التي ظهرت خلال المائة عام الماضية تقريبًا. إلا أن كلمة "ظهرت" لا تعني أن هذه الفلسفات أصيلة تمامًا جاءت بما هو جديد كل الجدة. بحيث تميزت عن الفلسفات السابقة عليها تميزًا جوهريًا. كلا، فالفكر الإنساني متصل على الدوام، يأتي اللاحق متأثرًا ــ سلبًا أم إيجابًا ــ بالسابق على وجه نستطيع معه أن نقول إننا لو شئنا أن نتتبع أية فكرة عند أي اتجاه فلسفي معاصر، لاستطعنا أن نجد جذورها ضاربة في تربة الماضي البعيد الذي قد يمتد لقرون كثيرة.

محمد مهران و محمد مدين، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر، 2004، ص 19.

2- زمان ظهور الفلسفة الغربية المعاصرة

توجد اختلافات كثيرة بين مؤرخي الـ (ف.غ.م) أهمها تحديد زمان ظهورها أو ميلادها، وفي هذا الصدد هناك تحديدان مشهوران: الأول يؤكد بأنّ ظهور الفلسفة الغربية كان بعد انهيار الفلسفة الهيجيلية النسقية. أما الثاني فيقرنها بوفاة نيتشه سنة 1900، لكن مهما كان الأمر فكليهما قابل للمناقشة. لن فلسفة هيجل (1770- 1831)استمرت عن طريق أعمال تلميذه ماركس (1818- 1883) الذي استطاع أن يبقي المسألة السياسية الاقتصادية مستمرة إلى القرن العشرين، أما ربط بداية الـ (ف.غ.م) بوفاة نيتشه يعد بكل تأكيد إنكارا لفلاسفة آخرين كان لهم الفضل في وضع اللبنات الأولى للفلسفة الغربية المعاصرة، وهذا ما يدل على إشكالية الحديث عن البدايات، وهذا ما أكده محمد مهران رشوان عندما قال: ‹‹ إن التمييز بين مدارس الفكر المعاصر ليس سهلا››[1].

3- خصائص الفلسفة الغربية المعاصرة

ويمكن اختصار أهم خصائص الفلسفة المعاصرة فيما يلي:

1- النشاط الفلسفي المكثف.
2- التنوع في الموضوع والثراء في المنهج.
3- اختفاء فلسفة الأنساق المعتادة.

[1] محمد مهران رشوان،

4- التمرد علي النزعة المثالية.
5- الفلسفة المعاصرة أكثر ارتباطا بالعلم .
6- العودة إلى الإنسان كموضوع خصب للدراسة.

أ – النشاط الفلسفي المكثف للفلسفة المعاصرة :

– نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تميزت بشيء مهم على صعيد الأداء أدى إلى القول بأن هذه الفترة هي فترة نشاط فلسفي كثيف. نجد فيه أسماء كثيرة لفلاسفة كبار آخرين أقل شهرة، وعلى ذلك لم يشهد أي عصر سابق هذا الكم الكثير من الأسماء الاتجاهات الفلسفية المتباينة والمتشابهة أحيانا.

لذا من الصعب إطلاق صفة معينة على هذا العصر تعبر عن روحه. فإن جاز لنا أن نقول إن القرن السابع عشر هو عصر المذاهب الفلسفية الشامخة، وأن القرن الثامن عشر كان عصر تنوير، والتاسع عشر هو عصر سيادة الفلسفات المادية بأنواعها، فإنه ليس بمقدورنا أن نسحب وصفا كهذا على هذا العصر.

ب – تراجع الأنساق الفلسفية المعتادة :

– نلاحظ اختفاء المذاهب والأنساق الفلسفية الكبرى التي تميزت بها الفترات الماضية. إذ بدأ الاهتمام بالمنهج والحرص على الوضوح في الفكرة والمعنى، وبدأ الاستخدام الدقيق للغة يطغى على اهتمام فلاسفة هذا العصر. فقد ظهر المنهج الفينومنولوجي، والمنهج المنطق الرياضي.

جـ – نقد النزعة المثالية :

– نقد النزعة المثالية الذي كان في أشكال عديدة من التفكير سادت في الفلسفة المعاصرة: الماركسية، الوضعية، الفلسفة التحليلية، البراغماتية، الوجودية وغيرها من المذاهب. ولعل هذا النقد هو في حقيقته رد فعل وثورة على النزعة العقلية بوجه عام. وكان من نتائج رفض الفلسفة المثالية أن أصبح الاتجاه إلى الواقع وإلى الإنسان أمرا طبيعيا. فنزع كثير من الفلاسفة المعاصرين إلى الواقعية، وترتب على هذا نقد فكرة المطلق لدى معظم الفلاسفة، وازدياد الاهتمام بالإنسان الفرد. لكن مواجهة هذه النزعة كان بمثابة رد فعل طبيعي ميز الفكر الغربي المعاصر و من ابرز الردود يمكن الإشارة إلى إيدموند هوسرل الفيلسوف الرياضي الألماني من خلال المنهج الفينومينوليجي واتضح ذلك خاصة في كتاب " أزمة العلوم الأوروبية والإنسانية

الأوروبية"، وهو عبارة عن محاضرات ألقاها سنة 1936 ومقالات أخرى وبقي يعمل عليها حتى وفته المنية.

د – أصبحت الفلسفات المعاصرة أكثر ارتباطا بالعلم:

وظهر ذلك في اعتماد المنهج العلمي، والاستعانة بنتائج العلوم الطبيعية والنظريات العلمية. وإن كان الاهتمام بالمنهج يعود إلى ديكارت وهيوم، إلا أن هذا العصر نجح كثيرا في تحليل المفاهيم، وتصنيف أشكال التفكير والتحرر من الميتافيزيقا التقليدية، التي كانت محل نقد شديد من طرف أغلب الفلاسفة.

هـ – العودة إلى الوجود الحقيقي للإنسان:

وكانت الحاجة شديدة إلى ذلك. هذه الحاجة التي لم تشبعها فلسفة «هربرت سبنسر» المادية، أو أفكار المثاليين. وكانت النهضة العلمية السابقة على هذا العصر قد هبطت بالإنسان إلى مستوى الموضوع، فأصبح بعدئذ إشكالا مستمرا بالنسبة إلى نفسه. وصاحب هذا الاهتمام بالإنسان الاهتمام بما هو عيني بدلا من الإيغال في عملية التجريد أو الإغراق في المثالية المطلقة.

ولم يصبح موضوع الفلسفة الطبيعة والعقل، إنما الإنسان في وجوده الحقيقي المشخص. لكن الذي ينبغي التنبيه إليه أن الإنسان الذي أصبح مصدر بحث ودراسة ليس هو الإنسان كما كان يتصوره «ديكارت» في «تأملاته»، يتشكل على نحو منهجي من أجزاء يضاف بعضها إلى بعض، إذ يأتي التفكير أولا ثم الروح المتحدة بالبدن والأهواء، إنما هو إنسان قذف به في منحى معين من الكون بعظمته وبؤسه. وصار يبدو في نظر نفسه مشكلة من المشاكل. الإنسان في الفلسفة الحديثة بدء من ديكارت هو الإنسان المجرد الذي يكاد ينقطع عن تاريخه وصلاته بالآخرين واحسن صورة تشكلت في هذا الإطار هو الكوجيتو أي " أنا أفكر إذا فأنا موجود". وعلى ذلك انصبت أبحاث الفلاسفة على تعديله أكثر من تركيز اهتمامهم على معرفته. ففلسفات التاريخ السابقة خاصة لدى هيجل تتجاهل الفرد. وان اهتمت ببعض العظماء الذين تمكنوا من تحديد المراحل التاريخية، فإنها نظرت إليهم على أنهم ممثلين لأفكار، لا مجرد أفراد.

لقد غابت في هذا العصر النظرة إلى التاريخ على أنه نوع من الحقائق العلوية المفروضة على الأفراد بشكل يحدد طريقة سيرهم في الحياة، وتعتبرهم مجرد أدوات تنفذ بها أهدافها.

وظهرت آراء تتخذ الحاضر أساسا لبناء الأفكار لا المستقبل كما هو الحال لدى كروتشه*. فالأولى أن يخلق المرء شعوره الخاص، وتفكيره الخاص، بل إن النظرة إلى الزمن تحولت من النظرة المسيحية التي تجعل حاضر الإنسان محصورا بين الماضي والمستقبل، ومن ثم يفقد استقلاله بذاته، إلى النظرة التي تعتبر الزمن الحاضر الحافل بالماضي والمتجه نحو المستقبل هو البنية الحقيقة للزمن، أو ما يعرف بالزمن الإنساني على حد تعبير «هيدجر».

- أهم المدارس الفلسفية المعاصرة:

ورغم وجود حالة اتصال واستمرار في الفكر في هذا العصر مع الذي يليه، إلا أن هناك مفكرين كبارا كان لهم فضل في ظهور أفكار جديدة انتشرت وذاعت. يقول بوشنسكي كتابه المهم الفلسفة "المعاصرة في أوروبا": «وبعض هؤلاء المفكرين ونقصد برجسون على الأخص وهوسرل إلى حد ما أصبحوا بالفعل موضع التكريم الكبير»[2]، ولم يكتفي هذا المؤرخ بهذا إذ يؤكد كذلك: «ثم يأتي بعد ذلك مذهبان قطعا كل حبال الاتصال مع القرن التاسع عشر الميلادي وهما فلسفة الحياة[3] وفلسفة الماهيات والفينومينولوجيا»[4].

1- الفلسفة الألمانية

عن الحديث عن الفلسفة الألمانية المعاصرة هو أصلا حديث عن أهم التيارات الفلسفية التي أثرت بكيفيات مختلفة عن مسار الفكر الفلسفي الغربي المعاصر، وهذا التأثير لم يكن من فيلسوف واحد، لأن الفلاسفة الألمان استطاعوا أن يفرضوا ليس فلسفتهم والقضايا المحلية التي عالجتها، بل وخاصة أصبح المترجمون للفلاسفة الألمان يعانون من " إيجاد مصطلحات مناسبة" في لغاتهم الأصلية. كما أن الحديث عن الفلسفة بالذات لا يخلو من الصعوبات بسبب ثراء هذه الفلسفة وتنوع أطروحاتها، وبالمعيار الذي اقتبسناه من إيميل بريي، لنا أن نؤكد بان هذه الفلسفة احتوت على الفلسفتين الأساسيتين، الفلسفة التي توجهت محو الذات وهنا نجد أسماء لامعة مثل نيتشة وهوسرل وهايدغر وأخيرا غادامير، كما نجد فلسفة توجهت نحو الخارج و من أهمها الوضعية المنطقية التي اجتمع أصحابها فيما سمي بحلقة فيينا(Vienne). هذه الصعوبة تجعلنا

---

* بينيديتو كروتشي (BENEDETTO CROCE)، فيلسوف وكاتب وسياسي إيطالي (1866 – 1952).

[2] بوشانسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا. ترجمة عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، 1992. ص 48

[3] فلسفات الحياة عموما هي تلك الفلسفات التي رفضت النظر إلى الإنسان من جانب العقل فقط، بل أكدت أنه أغنى وأثرى من أن يحصر في علاقات مجردة كونه يتمتع بالحياة، وهذه النظرة أخذت جذورها من فلسفة أفلاطون والقديس أوغسطين، ثم الحركة الرومانسية ويمثلها عدد كبير من الفلاسفة المعاصرين ينتمون إلى تيارات مختلفة.

[4] المصدر السابق نفسه، ص 56.

نركز على واحد من أبرز الفلاسفة الألمان الذي كان له الأثر الكبير على مستقبل الفلسفة في أوروبا والعالم عموما، كونه التزم بشكل كبير بالمنحى النقدي، وأراد إصلاح الفلسفة ومنحها نفسا جديدا تستطيع به ومن خلاله إيجاد حلول مشاكل عصرها ونقصد بذلك إيدموند هوسرل (1859 – 1938).

- **هوسرل الفينومينولوجيا وأزمة العلم وأزمة الحضارة.**

(انظر النص لجورج زياني)

(جورج زياني، رحلات داخل الفلسفة الحديثة، دار المنتخب العربي، 1993)

V ـ أدموند هوسرل E. Husserl وأزمة العقلانية الأوروبية

حين وصل النازيون الى الحكم في أوروبا كان هوسرل في الرابعة والسبعين من عمره ، وقد بذل كل جهده العقلي للدفاع عن منهجيته ، الفينومينولوجيا أو الظاهراتية . وفجأة مع التغيير الجذري السياسي أحس بحاجته إلى شيء غير الدفاع عن الأنا ووصفها وكشف معناها . أحس بأزمة خانقة تعصف في كل الغرب وتهدده ببربرية مميتة . لا بد إذن من طرح الأزمة في كل أعماقها ومعرفة أسبابها ، وهذا قاده الى نوع من فلسفة التاريخ . إلى نوع من التأمل في العقلانية وفي المعنى الأخير لكل أوروبا أي لكل الحضارة الغربية . . عاش هوسرل سنواته الأخيرة إلى حين وفاته سنة 1938 م وهو يحاضر عن هذه الأزمة في العقلانية الغربية وأدركته المنية وهو ما يزال يعمل دفاعاً عن الفلسفة وعن العقلانية . وقد جمعت محاضراته ومقالاته حول هذا الموضوع في كتاب عرف باسم كريزس Krisis أي الأزمة ، أزمة العلوم الأوروبية والإنسانية الاوروبية . وهو يعد بمثابة وصية مؤلفه[8] . ويمكن أن نختصر موقف هوسرل على الشكل التالي :

ـ الأزمة الحالية هي في عمقها أزمة علوم وأزمة حضارة أي أنها أزمة عقلانية ولا يمكن حلها إلا حين نعرف الغاية من كل تاريخ أوروبا أي حين نحدد مفهوم أوروبا والصورة الروحية لها .

ـ حين نبحث عن المعنى الأخير للتاريخ الفكري الأوروبي نرانا أمام ضرورة تحديد مكان ولادة أوروبا وزمان هذه الولادة . لقد ولدت أوروبا في اليونان مع ولادة الفلسفة في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد . ولقد اقترن مصير أوروبا بمصير الفلسفة أي بروح الفلسفة . هناك إذن استمرارية حضارية روحية بين الحضارة اليونانية القديمة والحضارة الغربية المعاصرة . والصورة الروحية لأوروبا هي في الحياة الداخلية

---

(8) أنظر الترجمة الفرنسية : Edmund Husserl: La crise des sciences européennes et la phénoménologie transcendantale, traduit et préfacé par Gerard Granel, éd. Gallimard, Paris, 1976.
أنظر كذلك للمؤلف نفسه كتاب La crise de l'humanité européenne et la philosophie, traduction Paul Ricœur, éd. Aubier Montaigne, Paris.

من شتى النجاحات العلمية ؟ إن دفاعه عن علم نفس قائم على الوصف والقصدية والأنا المحض وتعالي العقل لم يمنع هذا العلم من أن يستقل كلية عن الفلسفة ، ويصبح علماً موضوعياً له منهجياته الوضعية . لقد كان علم النفس آخر علم يستقل عن الفلسفة وكان يجب تركه يستقل دون ضجيج ، فمن حقه كغيره من العلوم الإنسانية أن يؤسس وضعيته الخاصة به .

إن هوسرل حين ذهب يبحث عن الغائية الأخيرة لأوروبا وتاريخها أكد بوجود إستمرارية لأوروبا منذ عهد اليونان القدماء . فهل هناك حقاً إستمرارية بين التراث اليوناني القديم والحضارة الغربية ؟ هوسرل يلتقي هنا مع تلميذه الشهير هيدجر بالقول بأن الفلسفة أوروبية وواحدة لم تتغير منذ مؤسسيها قبل سقراط . غير أن هذه وجهة نظر ليست أكيدة . لقد أكد فوكو في « الكلمات والأشياء » بأن الابستمة داخل الحضارة الغربية نفسها قد مرت بانقطاعات عدة ، وبالتالي فإن الإعتقاد بوجود استمرارية حضارية منذ عصر النهضة الى زماننا المعاصر أمر خاطىء[9] أو على الأقل يحتمل المناقشة ، فكيف والأمر يتعلق بحضارة بعيدة جداً عن الحضارة الصناعية الغربية المعاصرة . أن تأثر الغرب بالفلسفة اليونانية أمر أكيد وهو مستمر غير أن التأثر شيء واستمرارية الغائية الحضارية أمر آخر ، إذ ليس من الصعب البرهنة على أن الإشكالية التي كانت تسود الحضارة اليونانية تغيرت جذرياً مع الحضارة الأوروبية .

إن وضع هوسرل اللائمة في الأزمة التي تعصف في العلوم الأوروبية على العقلانية المنغمسة في العملي وفي المدارس الطبيعية والوضعية والموضوعية ، وتأكيده بأن العقل براء من هذه العاصفة ، قول يستدعي بعض الدهشة ، ذلك أن الفلسفة عند اليونان لم تكن تبغي أية منفعة مادية كما يؤكد أرسطو ، غير أن الحال قد تغير كلية منذ القرن الثالث عشر في الغرب ، منذ أن لم يعد العمل رمز استعباد الإنسان بل أصبح طريق خلاصة . العقل الغربي منذ أن كان ، كان منغمساً في النافع وبالتالي كان يبحث عن النجاح وعن الوسائل الكفيلة بتحقيق ما يطمح اليه من رفاهية ، وتمتع بخيرات الأرض . هذا العقل كان إذن يلهث وراء الوضعيات والمنهجيات الموضوعية لأنها وحدها كفيلة بأن تجعله سيد الطبيعة ، وان يخضعها لإرادته ويتحكم بها كما يشاء .

إن إرادة النجاح والسعي وراء المنفعة المادية المباشرة قد ميزت العقل الغربي عن العقل اليوناني الذي يريد أن يعرف قوانين الظواهر الطبيعية ليحترم الطبيعة ويتبعها ، في

---

(9) أنظر كتاب Michel Foucault. Les Mots et les choses, éd. Gallimard, Paris, 1966 وصدرت ترجمته الى العربية عن مركز الانماء القومي ، بيروت .

حين كان الغربي وما يزال يريد الهيمنة من أجل الكسب المادي والمنفعة . ويكفي بهذا الصدد أن نعلم بأن ديكارت ، رائد العقلانية الغربية الحديثة يردد عدة مرات كلمة منفعة utilité بمعناها المادي المحض ، وحتى في كتابه حول « انفعالات النفس » يقول بأن الحب نافع للصحة (انفعالات النفس ، المقالة السابعة والتسعون)[10] . غير أن ما له دلالته في هذا الصدد هو ما يختم به ديكارت كتابه « مقال عن المنهج » «ولكني على أثر تحصيلي لبعض المعارف العامة في علم الطبيعة واختباري لها في معضلات مختلفة خاصة ، لاحظت مدى ما تستطيع أن تقود اليه ، ومبلغ إختلافها عن المبادىء التي يستعان بها حتى الآن ، على أثر ذلك إعتقدت انني لا أقدر على إبقائها مختبئة . . . لأن هذه الأنظار في علم الطبيعة بينت لي إمكان الوصول الى معارف مفيدة للحياة فائدة كبيرة ، وبدلاً من هذه الفلسفة النظرية التي تعلم في المدارس فإنه يمكن أن نجد عوضاً عنها فلسفة عملية ، بها إذا عرفنا ما للنار والماء والهواء والكواكب والسماوات ، وكل الأجرام الأخرى التي تحيط بنا من قوة واعمال ، معرفة متمايزة كما نعرف مهن صناعتنا المختلفة ، فإننا نستطيع استعمالها بنفس الطريقة وفي كل المنافع التي تصلح لها ، وبذلك نستطيع أن نجعل أنفسنا سادة ومسخرين للطبيعة ، وهذا جدير بأن يرغب فيه لابتداع ما لا يحصى من المصنوعات التي تجعل المرء ينعم بدون جهد بثمرات الأرض وبكل ما فيها من أسباب الرفه »[11] .

من الواضح أننا هنا أمام عقل منغمس كلية بالنافع وهمه الراحة المادية ، ويعرف ما في العلم الطبيعي من إمكانات للإستثمار التكنيكي ، ويعلم بأن التقدم العلمي والتقني مفتوح الى ما لانهاية، أي أنه يتطور باستمرار ويتحسن وينتج آلات جديدة أنفع للإنسان ورفاهيته المادية . فإلى جانب ديكارت مكتشف الكوجيتو هناك ديكارت آخر هو منظر التقدم العلمي والتقني .

2) المدرسة الفرنسية.

لقد تميزت الحركة الفلسفية في فرنسا بنشاط كثيف أخذ أوجه متعددة ضمن تيارات متباينة أحيانا ومنسجمة أحيانل أخرى، ولكن ومع مطلع القرن العشرين وسيطرة النزعة الوضعية المادية يظهر برغسون كفيلسوف من طراز جديد بالنسبة للثقافة الفرنسية التي بقيت سجينة العقلانية الديكارتية ليقدم أنموذجا فلسفيا كان له التأثير الكبير على الصعيدين الفرنسي والأوروبي على حد سواء.

والإطار الفلسفي العام الذي يمكن إدراج فلسفة برغسون** فيه هو ***فلسفة الحياة*** أو النزعة الروحية المعاصرة التي ترعرعت على وجه الخصوص في ألمانيا مع أسماء ناصعة كنيتشة وهسرل وديلتاي، ولعل أبرز سمات فلاسفة الحياة أنهم ينأون بعيدا عن النزعة الميكانيكية بقدر ابتعادهم عن النزعة المثالية. فلا يوجد عندهم إلا الحركة والصيرورة. وكان «برغسون» (1859 – 1941) من أكثر الفلاسفة الفرنسيين تأييدا لهم. فهم يرفضون التصورات والقوانين القبلية والاستنباطات المنطقية. ولا يرضون للفلسفة أن يكون منهجها هو المنهج العقلي إنما منهجها «الحدس» والنشاط والفهم الحي للتاريخ. وهذا يقودنا إلى البحث في الحدس في النسق المعرفي. والشغل الشاغل الذي حرك مجهود برغسون الفلسفي هو التصدي إلى النزعة الحتمية التي نقلت من مجال العلم الطبيعي إلى مجال الإنسان، وكان بذلك من أكثر المدافعين عن حرية الإنسان ضمن مقولات فلسفية جديدة كان الشعور والحدس هو مرتكزها.

1- الحدسانية الروحانية لبرغسون:

والواقع أن كل هذه الحركة الفلسفية الفرنسية إنما تعد امتدادا للتوجه الروحاني الإرادي والشخصاني للفلسفة الفرنسية الذي افتتحه "مي ندي بيران* وأصله على الخصوص كل من فيلكس رافيسون** وأميل إميل بوترو وهو الذي كان هنري برجسون تلميذا له. ولكن برجسون لم يتأثر بهؤلاء الفلاسفة الفرنسيين وحدهم إنما تأثر كذلك بتيار نقد العلم ، فإنه أخذ الكثير من المذاهب التطورية والنفعية في الفلسفة الإنكليزية في القرن التاسع عشر وهو يقول هو نفسه إنه كان يبدو له في بداية اشتغاله بالفلسفة أن فلسفة هربرت

** هنري برغسون (Henri Bergson) 1859 – 1941.

* مان دو بيرا Maine de Biran (1766 - 1824) فيلسوف رياضي و عالم نفساني فرنسي يعتبر من مؤسسي علم النفس الروحاني.

** Ravaisson (1813 – 1900) فيلسوف فرنسي متأثر برافيسون وهو أستاذ برغسون ويعد من الذين أسسوا للاتجاه الروحيني في فرنسا.

سبينسر هي وحدها التي تتطابق مع الواقع ويضيف أن فلسفته إنما خرجت من محاولته التعمق في أساسيات نظام اسبينسر.

وقد أظهر برغسون تأملاته في أربعة كتب على وجه الخصوص وهي تدل على منحى تطوره الروحي.ذلك أن كتابه الأول "**رسالة في المعطيات المباشرة للوعي**" الذي يحتوي على نظريته في المعرفة بينما يعرض كتابه ***المادة والذاكرة*** نظريته في علم النفس ويعرض ***التطور الخالق*** ميتافيزيقاه المؤسسة على البيولوجيا التأملية .

إن برغسون هو الفيلسوف الذي أعاد إدخال الحياة الروحية بكل زخمها إلى العالم ولكن بالاعتماد على حوار جدي وبناء مع معطيات العلم المعاصر وبالاعتماد كذلك على التجربة الموضوعية ليميز بذلك ومن خلال الديمومة المعاشة بشكل ملموس بين زمان الوعي وزمان العلم وليصل في الأخير إلى تحقيق نوع من المصالحة بين الفلسفة والحياة من خلال الإدراك المباشر للأشياء الذي يجب أن يكون بديلا جديا عن عملية إدراكها عبر وساطة المفاهيم[5].

برغسون يتساءل عن معنى الحياة فيقول:(بالنسبة إلى الوجود الواعي: أن يوجد هو أن يتغير، وأن يتغير هو أن ينضج، وأن ينضج هو أن يخلق نفسه باستمرار) (التطور الخالق). إن الكون يعاني الديمومة، والديمومة معناها الاختراع وخلق الأشكال والصنع المستمر لما هو جديد على وجه الإطلاق والديمومة تقدم مستمر من الماضي الذي يعرض المستقبل وينتفخ وهو يتقدم. (إن استمرار التغير والاحتفاظ بالماضي في الحاضر والديمومة الحقة: هذه الصفات المشتركة بين الشعور والكائن الحي). (ان الحياة تلوح كتيار يمضي من جرثومة إلى أخرى عن طريق كائن عضوي متطور).

ويتحدث برغسون عن خصائص الحياة النفسية وكيف تتحقق في الحياة النامية فالكائن الحي ليس مجرد مركب من (عناصر سابقة) الحياة شيء غير العناصر وشيء أكثر من العناصر إن الكائن الحي (يدوم) ديمومة حقة إذ أنه يؤكد وينمو ويهرم ويموت، وهذه ظواهر خاصة به لا تبدو بأي حال في المادة البحتة وليست الأنواع الحية ناشئة من أصول متجانسة نمت وتحولت بتأثير القوى الفيزيائية والكيميائية بطريقة الصدفة العمياء.

[5] هنري برجسون ،بحث في المعطيات المباشرة للوعي ،ترجمة الحسن الرازي،الطبعة الأولى ،بيروت ،لبنان،2009،ص 11.

وأكثر ما تصدى له برغسون هو رفضه ومعارضته للنزعة المادية التي ما فتئت تزداد قوتها وسيطرتها خاصة بع أعمال أوجيست كونت من جهة وانتصارات العلم الفيزيائي والبيولوجي من جهة أخرى. فالإنسان الذي يتمتع بالحياة ليس شيئا ماديا خالصا حتى نفسره بمفاهيم ومقولات العلوم الطبيعية، فمن خلال تحليله لمفاهيم كثيرة تبين أن يريد من خلال أعماله تقويض الفلسفة المادية وتقديم فلسفة مستمدة من الروحانية التي عبر عنها بشكل قوي ما ندي بيران، فالديمومة والشعور والحدس والزمان النفسي والأنا السطحي والأنا العميق هي من المفاهيم التي تسمح بتشكيل صورة تقريبية عن فلسفته التي كثيرا ما وصفت بالغامضة.

كتاب " الذاكرة والمادة" هو من أصعب كتبه وأكثرها تعبيرا عن فلسفته، ويعتبر من أكثر الكتب التي تصدى من خلاله إلى النزعة المادية الميكانيكية المسيطرة آنذاك، وفي هذا الصدد يقول: ‹‹إننا نميل بطبيعتنا إلى النزعة المادية، لأننا نميل إلى التفكير في صيغة المكان، ولكن الزمان هو جوهر الحياة، وقد يكون جوهر الحياة كلها، وما ينبغي علينا فهمه هو ان الزمان تراكم ونمو ودوام (ديمومة)، والدوام هو استمرار تقدم الماضي الذي تتزايد أحداثه قليلا إلى أن يتضخم ويكون المستقبل››[6]. هذا الدوام أو هده الديمومة هي جوهر الإنسان مما يسمح له بتجاوز الحتمية والتمتع بالحرية انطلاقا من شعوره بقدرته على الاحتيار.

2-الفلسفة الوجودية: (La philosophie existentialiste)

تشكل الفلسفة الوجودية أهم ما يميز الفلسفة الفرنسية المعاصرة إلى غاية منتصف القرن العشرين وبعده بقليل، وبالنظر إلى أسباب ظهورها وأهم أطروحاتها، فأنها تتصل بالمناخ الفكري والوضع العام الذي عرفته أوروبا عموما وفرنسا خصوصا.

الفلسفة الوجودية – أو ما يُعرف بمسمى فلسفة الوجود– هي تيّار لاعقلانيّ في الفلسفة المعاصرة، حاول أن يخلق نظرة جديدة للعالم، طبقًا للإطار العقلي لدى بعض شرائح المفكرين، وقام الفيلسوف الكانطي الجديد ف. هاينمان بصياغة مصطلح الفلسفة الوجودية بشكله النهائي، وأضِيفَ بعد ذلك إلى الموسوعات والمعاجم الفلسفيّة[7].

بدايات الفلسفة الوجودية

[6] ديورانت ول، قصة الفلسفة، ص 558.

[7] الموسوعة الفلسفية، موسكو:دار التقدم، صفحة 579. بتصرّف.

ظهرت الوجودية كفلسفة، بعد الحرب العالمية الأولى وأصبحت ذات نفوذٍ كبيرٍ بعد الحرب العالمية الثانية، إذ ساد المجتمع بعد الحربين العالميتين شعورٌ عميقٌ باليأس والإحباط جراء الأحداث المروعة التي حصلت في أثنائهما.

أدّت تلك الأحداث إلى معاناة النفس الإنسانية وعدم اليقين بشأن الوجود البشري، والشعور بالقلق والاكتئاب وكذلك الشك في وجود الله، حيث اعتقد الإنسان آنذاك أنّ الإله لم يعد موجودًا، أو ربما لم يكن موجودًا بالأصل بسبب وجود الإنسان في مثل هذا العالم الفوضوي، كما أدركَ أنّ جميع الفلسفات التي ظهرت كالفلسفة العقلانية التي تركز على أهمية العقل غير قادرةٍ على مساعدة الإنسان للخروج من ما هو فيه من فوضى وجودية ومعاناة.

لذلك ركزت الوجودية على مسألة ***الوجود*** الإنساني وفهم جوهرها، وأنّ للإنسان كامل الإرادة في اتخاذ قراراته العقلانية في عالم غير عقلانيّ، جعلت تلك الفكرة الإنسان يلجأ إلى استكشاف قيمٍ ومعانٍ جديدة في الحياة، وبما أنّ اعتقاده أن لا وجود للإله، فالطريقة الوحيدة لمجابهة الحياة هي محاولة فهم الوجود الإنساني.

قد ساهم العديد من الكتّاب في تطور وازدهار الفلسفة الوجودية وكان ذلك في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كالكاتب الروسي الشهير فيودور دوستويفسكي* والذي يُعتبر من أبرز رواد الفلسفة الوجودية، وقد عبّرت روايته مذكرات من العالم السفلي (Les carnets du sous sol) عن الفكر الوجودي.

تنقسم الفلسفة الوجودية إلى قسمين في تاريخ الفلسفة هما: الوجودية المؤمنة، الوجودية الملحدة، وغالبًا ما يشار إلى الفلسفة الوجودية كردّ فعل على الأزمة التي كانت تعانيها الليبرالية**؛ ويعود السبب في ذلك إلى عدم قدرة هذا النظام السياسي الاقتصادي الفكري، بالردّ على التساؤلات التي تفرضها الممارسات الاجتماعية والاقتصادية، كما أنها فقدت القدرة على تفسير عمليات الصعود والهبوط في المجتمعات الرأسمالية، فقامت الوجودية بمحاولة لتقديم تفسيرات لكلّ الأزمات التي تمر فيها المجتمعات، والتي أرهقت الإنسان في مختلف العصور، ومعنى الفلسفة الوجودية يتضمّن نظرة جديدة للإنسان والعالم، تُعلي من قيمة الإنسان في الوجود، وتحاول تفسير العالم المحيط به، وتقديم حلول للأزمات التي يمرّ بها[8].

* Fiodor Dostoievski (1821 – 1881) كاتب روسي من أهم مؤلفاته الجريمة والعقاب، مذكرات من العالم السفلي، الليالي البيض....

** اتجاه فكري تزامن ظهوره مع الحداثة الأوروبية وكانت بدايته فكرية فلسفية تمثلت في الدفاع عن فرديانية الإنسان وحلايته، ثم أخذت أشكالا سياسية واقتصادية وفنية...

[8] نفس المرجع السابق

جان بول سارتر (1905م –1980م)، فيلسوف فرنسيّ، يعد من أبرز الفلاسفة المعاصرين، ومن أهمّ كتبه كتاب الوجود والعدم، وهو عنوان أطروحته لنيل درجة الدكتوراه وكتاب "الوجودية مذهب إنساني"*، تأثر سارتر بمنهجية سيغموند فرويد في التحليل النفسي، وتصور سارتر الإنسان على أنه كائن لذاته، كان لفلسفته تأثير كبير على الأدباء، وأبرزَ فلسفته من خلال أعمال أدبية روائية ومسرحية، فقد نال شهرة واسعة على الصعيدَيْن الأدبي والفني، وبعض مسرحياته تم تمثيلها في الكثير من المسارح الأوروبية، أهم هذه المسرحيات هي مسرحية ***الذباب****، التي تعبّر عن حالة البؤس التي عاشتها الإنسانية بعد الحرب العالمية الثانية، وأكد فيها قيمًا إنسانية عُليا، مثل: الحرية والمسؤوليّة الأخلاقية.

تقوم الفلسفة الوجودية عند سارتر على أساس أسبقيّة *الوجود* على *الماهية*، ويَقصد سارتر بالوجود "الوجود المادي"، فليس هناك علّة أولى، مما ينتج عن ذلك أن الإنسان يتقدم كذات مستقلة في الوجود، وبهذا يلتقي الإنسان مع نفسه ويبرز في العالم، ثم يباشر في عملية تكوين ذاته. وحتى نفهم هذا المعنى نقول أن الإنسان يولد أولا ثم يصير ثانيا، فإذا كانت ماهية الأشياء المادية محددة مسبقا من طرف الإنسان الذي يصنعها ويحدد وظيفتها وشكلها، فإنه بالنسبة للإنسان لا وجود لمن يحدد ماهيته، فهو الذي بحريته المطلقة إرادته الحرة الذي يحدد مصيره والكيفية التي يصير عليها، لذلك الإنسان في نظر سارتر جر حرية مطلقة مهما كانت وضعيته الوجودية، فالعبد والسجين كلاهما حر لأن كل منهما اختار الوضعية التي هو عليها، فالسجين اختار الجريمة بمحض إرادته والعبد أختار أن يبقى عبدا، وعليه كل منهما مسؤول عن الوضعية التي يوجد فيها، وهنا يقول سارتر‹‹ إننا مجبرون على أن نكون أحرارا ››.

ومن أهم خصائص وجودية سارتر نذكر ما يلي:

أ- الذاتية أو الفردانية:

إنّ الهدف الأساس للفلسفة الوجودية هو إبراز شخصية الفرد في مجال الأخلاق، بحيث يكون القانون الأخلاقي ذاتيًّا وداخليًّا وليس نابعًا من سلطة خارجية تفرضه عليه، وهذه النزعة الذاتية التي أكد عليها سارتر، ويرى بأن الإنسان هو الذي يختار القيم لنفسه، وبذلك إشارة إلى إلغاء مصادر أخرى للأخلاق مثل الدين أو السلطة الاجتماعية كما هو الحال في كل المجتمعات، فعلى الإنسان أن يشرع في عملية إبداع قيم إنسانية خاصة به، والمثل الذي ضربه سارتر عن الطالب الذي جاءه يطلب النصح في الذهاب إلى ميدان القتال أو البقاء إلى أمه،

* L'EXISTENTIALISME EST UN HUMANISME

* Les mouches, 1943.

فأجابه سارتر بأنه حرّ، وهو الذي يبدع قانونه بنفسه، فالذاتية تبرز بشكل كبير في هذا الموقف، على اعتبار أن الطالب ذات لها كيان مستقل.

ب – الحرية المطلقة والمسؤولية:

إنّ المعنى الوجوديّ للحرية في فلسفة سارتر يرتبط بمفهوم الاختيار، كما أن سارتر لا يقصد بالحرية المعنى الميتافيزيقيّ لها، إنّما المقصود بها أن يمارس الفرد الاختيار لنفسه، ويظهر البعد الاجتماعي للممارسة الفرد لحريته في الفلسفة الوجودية عند سارتر، فالفرد عندما يختار لنفسه يجب عليه أن يختار كأنما يختار للإنسانية كلها، ويقول سارتر في كتاب الوجودية مذهب إنساني: أن الإنسان باختياره لذاته يختار لذاته يختار أيضًا لبقية الناس، فليس هناك أيّ عمل يختاره الفرد إلا ويسهم في كينونته، ويرسم صورة للإنسان، كما يجب أن يكون، كما أن اختيار الإنسان لنمط معين من الوجود هو تأكيد لقيمة اختياراته وإعلاء لشأن الإنسانية. اختاروا مثلما اخترنا هذا هو شعار سارتر، على اعتبار أن الإنسان لا يمكن أن يختار لنفس الشر، وما يختاره سيكون خيرًا له، وبالتالي سيكون خيرًا لكلّ الناس.

تقوم المسؤولية الأخلاقية على اعتبار أنّها نتيجة لحرية الإنسان، ويعود سارتر لاستشكال الصورة التي سيكون الإنسان عليها أثناء وجوده، فإن الوجود سابق على الماهية، وهذه الصورة لن تكون واقع الفرد وحده، إنما ستكون واقع كل الناس في العصر الذي يجد الإنسان نفسه فيه، وبهذا يؤكد سارتر أن المسؤولية التي سيتحملها الإنسان أكبر بكثير مما يظن؛ وذلك لأن الصورة التي سيكون عليها الإنسان أثناء وجوده ليست شيئًا يخصه وحده، إنما تخص الإنسانية كافة، ويترتب على هذا شعور الإنسان بالقلق، والقلق مفهوم أدخله سارتر إلى الفلسفة من خلال أطروحاته الوجودية، ويقول سارتر: إنّ الوجود يعلن صراحةً أن الإنسان يحيى في قلق، ويكابد هذا القلق.

2

نص ليوسف كرم حول فلسفة الوجودية الفرنسية:

إلى جانب التيار البرجسوني والمدارس المعروفة توجد في فرنسا الآن محاولات ثانوية، و إن لم تخل من مقدرة، تجمع تحت اسم الوجودية، لاتفاقها على أن الإنسان محور محور تفكير الإنسان، وأن منهج هذا التفكير النظر في الإنسان على ما يوجد لا تحليل ماهيته المجردة، أجل ليس هذا المنهج جديدًا؛ فقد تعد سقراط وأفلاطون والقديس أوغسطين وبسكال وجوديين، ومن قبيلهم موريس بلونديل الأستاذ بجامعة إكس وجبريل مرسيل، وكلهم يؤمنون بالعقل وبموضوعية المعرفة، ويفسرون الإنسان طبقًا للمبادئ العقلية، أما الوجودية الجديدة فقد

نشأت احتجاجًا على الإسراف في العقلية كما يشاهد عند هجل الذي يرد الموجود إلى الماهية المجردة فيغفل كل ما فيه من إنّية أو فردية، فهي" لا ميتافيزيقية"، تنكر أن يكون الوجود عين الماهية، وتنفر من المذهب والمذهبية وتقتصر على وصف الظواهر النفسية، فلا تعين قيمة المعرفة بالإضافة إلى الحقيقة، بل طبقا لما يبدو من حيوية في ظواهر الشعور الخالصة من الانفعالات والإرادات والآراء المكتسبة من المجتمع، ومع اتفاق الوجوديين المعاصرين على هذا المنهج نراهم يختلفون في نقطتين رئيسيتين :إحداهما خاصة بالمعرفة، والأخرى وهو غير المذهب الذي صادفناه في العصر الوسيط وسميناه ويسمى هذا المذهب لقوله بوجود واقعي للماهيات المجردة، بل إنه معارض له منكر للمجردات بالوجودية خاصة بتفسير الإنسان، ففي النقطة الأولى يأخذ بعضهم بالتصورية فلا يجعل فرقًا بين العالم الخارجي والعالم الداخلي بحجة أن كل ظاهرة طبيعية فهي في الوقت نفسه هي ظاهرة نفسية وأن وجودها كله قائم في كونها حالة نفسية، بينما البعض الآخر يرى أن الظاهرة الطبيعية يقارنها في الوجدان شعور بالخارجية فيميز بين المجالين ويحاول تبرير موضوعية المعرفة، وفي النقطة الثانية ينظر بعض الوجوديين بنوع خاص إلى ما سماه بسكال بعظمة الإنسان المتمثلة في عقله وفي طموحه إلى المثل الأعلى، فينتهي إلى الإيمان، وينظر البعض الأخر إلى ما سماه بسكال بحقارة الإنسان المتمثلة في أهوائه ورذائله وأمراضه الجسمية والنفسية، فينتهي إلى المادية والإلحاد، ولعل هؤلاء يبدءون بالإلحاد، ويبدأ أولئك بالإيمان تبعًا لمزاجهم الجسمي والعقلي، ثم يستخدمون المنهج الوجودي للوصول إلى ما يريدون، وهذا المنهج كثير الشيوع في العصر الحاضر :عليه عول ڤوندت وكولبي وهوڤدنج ونيتشنر في علم النفس، وتشارلس بيرس ووليم جيمس في البراجماتزم، وچون ديوي في اعتباره المعرفة أداة في خدمة الحياة، وشيلر في مذهبه الإنساني، وغيرهم ممَّن يحذون حذوهم.

وأشهر الوجوديين الفرنسيين الآن، أي أكثرهم إنتاجًا وضجيجًا، جان پول سارتر الذي يعرف الوجودية بأنها مذهب إنساني، ويلح في تلحيل النواحي القذرة البشعة من الإنسان في قصص تلقى رواجًا كبيرًا وهو مادي ملحد يظن أن الإلحاد يستلزم القول بأن الوجود في الإنسان سباق على الماهية، أو أن من حيث إنه لا يوجد إله يتصور الماهية الإنسانية ثم يحققها كما يتصور الصانع ماهية سابقة على الوجود التاريخي الذي « الآلة ثم يصنعها أو كما يتصور كنط الماهية الإنسانية هذا موقفه الميتافيزيقي، وهذا الموقف يعود إلى القول بأنه يجب ، » نصادفه في الطبيعة لأجل دراسة الإنسان فينظر إليه كما هو موجود في بيئة معينة وفي كل » الذاتية « البدء من فرد على حدة دون اعتبار للمعنى الكلي الذي يقال إنه يمثل الماهية والذي يدرجون تحته على السواء ، ومتى كان الوجود سابقًا على الماهية

لم يبقَ في الإنسان شيء يعين سلوكه ويحد حريته بل كان حرّاً كل الحرية يعم ما يشاء ولا يتقيد بأي شيء، إذ أن الوجودية إلا « فما الإنسان » بنفسه كما يشاء، وأنه محكوم عليه في كل لحظة أن يخترع الإنسان بهذا يظن سارتر أنه ، »ما يصنع نفسه وما يريد نفسه وما يتصور نفسه بعد الوجود يحقق الغرض الذي يرمي إليه وهو إنقاذ الحرية من الجبرية، فيصف الوجودية بأنها « مذهب تفاؤل لأنها تضع مصير الإنسان بين يديه هذه الوجودية ما هي إلا لون من ألوان المذهب الحسي، فإنها تنكر المعنى الكلي وتغلو في الإنكار حتى تأبى أن تقيم وزنًا لوجوه الشبيه بين أفراد النوع الواحد، وهي وجوه بادية للعيان، فلا تنظر إلى الجزئي إلا بما هو كذلك فتعتبر أن الماهية هي الإنية أي جملة الأعراض المخصصة للجزئي، فتقول إن الوجود سابق على الماهية بهذا الاعتبار، ولا يفطن القائل إلى أن الوجود هو بالضرورة وجود شيء أي ماهية وأن الإنية تعيين الماهية الحاصلة بالفعل من نواحٍ وبالقوة من نواحٍ أخرى، فإن الإنيات وجوه مختلفة لما في الماهية من قوى مختلفة، وقديمًا قال أرسطو إن القوى النطقية غير معينة إلى واحد ولكن في مقدروها الميل إلى ناحية أو إلى أخرى، وهذا أصل الحرية التي هي القدرة على العمل في نطاق الماهية وعلى حسبها، ولا وجه للإغراب بعد هذا بوضع الوجود قبل الماهية.

يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة،
مؤسسة هنداوي، ص.ص 480-481-482

المراجع:

1- يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة،دارم المعارف القاهرة ،الطبعة الخامسة ،مكتبة الدراسات الفلسفية (ت غ).

2- بوشنسكي. الفلسفة المعاصرة في أوروبا. ترجمة عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة 1992.

3- هنري برجسون ،بحث في المعطيات المباشرة للوعي ،ترجمة الحسن الرازي،الطبعة الأولى ،بيروت ،لبنان،2009

4- الموسوعة الفلسفية، موسكو، دار التقدم

جورج زياني، رحلات داخل الفلسفة الحديثة، دار المنتخب العربي، 1993، ص 112

للمزيد اقرأ النص التالي:

II ـ نيتشه Nietzsche ونقد العقلانية :

نقد نيتشه في أواخر القرن الماضي للعقلانية نقد جذري طال الأسس التي قام عليها كل التراث الفلسفي للإنسانية تقريباً ، ولم تنج العلوم الوضعية من تجريحه اللاذع وسخريته ، فهو يرفض أن تختصر الحياة والطبيعة بكل ظواهرها في صيغ علمية يتداولها الطلبة والعلماء في ما بينهم ، ذلك أن أية ظاهرة تخفي كل نشوة الحياة المتدفقة التي لا يمكن لأية صيغة علمية مهما بلغت من الدقة أن تحيط بها . أما على الصعيد الفلسفي فإن النقد الذي سيقوم به سيكون له أبلغ الأثر في الكثير من الفلسفات في زمننا . والغريب

---

(1) الكندي : رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1950 م .

(2) إيمانويل كانط : نقد العقل المحض ترجمة د . موسى وهبة ، مركز الانماء القومي ، بيروت .

هو أنّ فلسفته قد استعادها في البدء أقصى اليمين كفلسفة القوة ، وحفظ منه عنوان كتابه الأخير « إرادة القوة » Die Wille Zur Macht, la Volonté de Puissance ، في حين أن ما حدث بعد الحرب العالمية الأخيرة هو أن نيتشه أصبح رائد الثوريين الهادمين للتقاليد . ويعترف بول ريكور P.Ricœur بأن نيتشه هو الفيلسوف الذي هزه تماماً ، وأن قسماً كبيراً من كتاباته الفلسفية كان للرد على نيتشه ، في حين أن تحليل جاك دريدا J.Derrida يلتقي في نهاية المطاف مع نيتشه منظر العصر الحديث . ولقد شغلت فلسفة نيتشه مارتن هيدجر على أكثر من صعيد[3] . وكذلك فقد كرّس الفيلسوف الألماني الكبير كارل ياسبرس K.Jaspers كتابا له[4] ، وذلك كمدخل لفلسفته .

يبدأ نيتشه كتابه « جينيولوجيا الاخلاق » المنشور سنة 1887 م بهذه العبارات : « نحن لا نعرف أنفسنا ، نحن الذين نبحث عن المعرفة . والواقع أننا لم نبحث في يوم عن أنفسنا فكيف يمكن أن يتسنى لنا بأن نكتشف ذاتنا في يوم من الأيام ؟ لقد قيل عن حق بأنه حيث كنزك فهناك قلبك ، وكنزنا حيث تدندن خلايا معرفتنا . ونحن نسير باستمرار نحو خلايا النحل هذه » [5] . هذا النص يختصر كل نقد نيتشه لا للفلسفة فحسب بل أيضاً لكل العلوم ، فنحن في نظره ، نبني خلايا النحل وأعشاشها ونعتقد بأن كل العلم وكل الفلسفة أي الحياة على رحابتها يمكن أن تسكن هذه المساكن الحقيرة التافهة ، حيث لا يعشعش إلا الموت الأصفر . والواقع أن نيتشه لا يقوم بمجرد عملية نقد فقط للفلسفة المتمثلة بشكل أساسي بالميتافيزيقا ، فمثل هذا النقد لن يكون سوى كتابة ميتافيزيقا جديدة . ما يحاوله نيتشه هنا وفي سائر كتبه هو عملية إزالة القناع عن وجه الخطاب الفلسفي والعلمي . فماذا نكتشف وراء القناع ؟

حين يزال القناع نكتشف بأن الاستعارة تلعب دوراً أساسياً في كل الخطاب الفلسفي ، وخاصة في مشكلة الكينونة والوجود ، وعندها نستطيع أن نتبين بأن الحركة الدائبة للتأويل كانت مجرد محاولة تبرير واستعادة لكل المؤسسات القائمة من دينية وأخلاقية وحقوقية . وهنا نرى بأن النسق الفلسفية المختلفة والمتصارعة والتي تدعي بأنها نسق عقلية قائمة على الحجج المنطقية ليست في الواقع سوى عمليات متنوعة لاستعارات متراكمة مستمدة من المؤسسات القائمة ، وذلك من أجل تبرير وجود هذه المؤسسات .

---

(3) Martin Heidegger: Nietzsche 2 t. traduction française de Klossowski, Paris, Gallimard 1971; Le mot de Nietzsche «Dieu est mort» in chemins qui ne mènent nulle part (Holzwege), Paris, Gallimard, 1962.

(4) . Karl Jaspers: Nietzsche, éd. Gallimard, Paris, 1950

(5) . Nietzsche: La généalogie de la morale, éd. Gallimard, Paris, 1972, p. 7